تقاسيم على البندقية في ليلة العيد

خالد أبو خالد

ليس غريبا ان تسمع قصائد الوطن في زمان العجيمة هذا ، وليس عجيبا ، بل هو امر مألوف تماما في تاريخنا العربي ، ان يغني الشاعر ، ويسجن الشاعر ، ويجوع الشاعر ، ويغتال الشاعر .. ومع هذا يظل الشاعر وقصيدته مرسومان على لوحة الشمس ..

في زمن كهذا المدوح مس كل اوردته ، والذي بات فيه واضحا ، ومعلنا الى حد القرف الوجه الخياني لاولئك الذين لم يستنشعروا قيمة الوطن قط ، ليس على الشاعر الا ان يكون خليقا بالوطن ـ المساحات المشعة بالدم العربي ـ ويحمل صوته ويدفع به في وجوه الخيانيين والمرتدين والذين يعقون على الهامش صامتين ..

ليس غريبا ، وليس جديدا ، ان تحاصر قصائد الثورة وتقمع ، الطريقة التي تتسجم مع مقتضيات « المصلحة الوطنية !! » .. وما من شاعر ثوري ابدا وجد الا ومرت قصائده على مدفع « الرقابات العسكرية » حيث تأخذ السكين في احتراء ما لا ضرورة له !! من مفردات او مقاطع .. واذا اقتضت الضرورة فلا بأس من ان تشنق القصيدة كلها ..

« انهم يرقصون على ايقاع المدفع ، والسلح ، والشنق وتوليد القصائد أحادة شكل الوطن الذي لا يعترف الا بالمنادل اداة لتحريره الكامل » .

« تقاسيم على البندقية في ليلة العيد » قصيدة الشاعر خالد ابو خالد من القصائد التي تؤرخ لرتسم طريق الثورة والاستمرار به ، وهي من القصائد التي مرت على رقابة « فلسطين الثورة !! » وشابت سكين الرقيب قبل نشرها ان تقطع كلمة جنيف وتضع « ... » بدلا لها ... وقد مات على الاح الرقيب ، ان القصيدة تحمل فلسطين كلها ، وليست المقطعة ولم يغير رفع « جنيف » من محتواها شيئا .. ولانها قصيدة فلسطين كلها ، تكرر نشرها بتأكيد من الوطن ـ الرقيب الذي لا يخاف جنيف ..

... وان كنت انت ...
تناولت وجهي
لونته بالجهامة .. والصمت
اني تعودت
ادمنت ان استعير الرخام
ـ اشربي قهوتي ..
شاركيني المرارة
في ليلة العيد .. لامست صدرك
اشرعت نافذتي
اغلقتها رياح الخريف
تداولت حلما تخطى الكوابيس
لكن صحوت
ارتديت قناعي .. وسافرت بعض
الطريق الطويل

احبك
لا ترجعي
تحت وجهي ابكي
ولكنني انماسك قبل انهيار المشاريع ..
قبل احتراق الخرائط
والاهل
نومض كوكبة من رفاقي
اودعهم في الصباح
وانهد من تعبي
يتساقط عني أتجلد
اظل رخاما يذكر بالموت عينيك
ـ ادرك لا بأس ـ
مقبرتي في خدودك
ادعوك باسمك ان تصعدي من خلال
أصابع كفي

ومن صداي
كيف اطرح جلدي على الماء
ان كنت لا استطيع البكاء
ساقلع عيني ان كانتا من زجاج
قفي ..
حدقي ..
ان طاولتي تتاوه تحت الجرائد
والشمع
والورق المتجمد
والتبغ
والشعر
رائحتي كالقطار القديم
ادخن ..

ها .. صوت فيروز يرتد عني
ومدفأتي اختنقت مرتين بقربي
يحاورني عبر هذي الليالي نباح الكلاب
انتهى العرض ـ أخرج
ترمى علي الاكاليل
تضفر فوقي المناديل
لكن منديلك الذهبي يغيب
وادفن تحت العمارات ..

لا تتعبي من حديثي اليك
ترى هل تموتين .. وحدك .. مثلي
وهل تستعيرين وجها كوجهي اذا
ما التقينا
على مفرق الطرقات .. التي فتحتها
الشواهد كنا

تابطت خصرك
ابطأت ..
ابطأت .. حتى تمر الحراسات
ثم عبرنا .. وعدنا ..
وكانت دمشق تتثاءب ثم ترد علينا الغطاء
فنغرق ..
هل تذكرين المسافة .. والليل .. بين
السفوح وبين النخيل
احبك ..
لا ترجعي
في « جنيف » المصائد
اني اشف نحوي الى الارض ..
فالارض منك ..
وفيها كبرت ..
وكنت تعرفت قلبك طفلا عليها
وواكبت كيف تصيرين في سنوات ..
صبية
وكيف تصيرين بارودة في يميني ..
واشهد اني عشقتك سرا ..
واني عشقتك جهرا
ولكنهم قتلوني ..
تقولين لا تتيء ..
افهم ما لا تقول الاذاعات
ينتصف الليل ..
انزف اذ يفرح الاخرون ..
واذ يقرع الجرس الان في بيت لحم
ويطلق كل الرصاص الذي في المخازن
في ظهر آمي

ويطلق في ليل بيروت ..
انزف تحت الرخام .. ـ مللت
الكلام .. رجاء

احدث نفسي ..
واجدل ماسانا ـ
بين ليلي وصدري احتفال يضيء
على شجرة العيد .. اني تفرست شيئا
كجمجمتي ..

هل ترين صليبي وقودا
هل ترين صليبي وقودا
ولحمي طعاما
وخمرا دمي

آه ... ايتها البندقية فلينسني
جسدي ان نسيتك
هذا ذراعي يحمل وشمك
والبحر

تلك حدودي ..
ورائحة البرتقال دليلي
واضرب في الرمل ..
اني اناديك باسمك سرا ..
واعرف اني اخاطر ..
هذا زمان تخلف فيه الذين اضلوك عني
واطبع فوق جبينك .. اسمي ..
وقبله ..

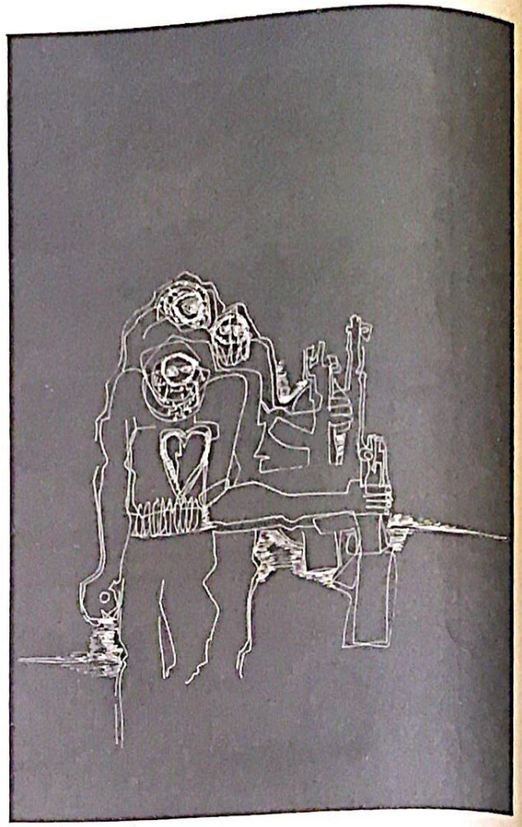

وان كنت انت التي دقت الان صدري ..
معلقة خلف بابي
سافتح قلبي .. وادعوك ان تدخلي ..

بين وجهي .. وبيبي
المساحة واسعة للحبيبة
ندري ان اجمع الطلقات التي خلفتها
المعارك فارغة

ثم املأها واغني
على وتر شد بين حبائل بافا .. وعمان
ـ يا وطني
انها في يدي تجيؤك
فافرد ذراعك للنار
وافرد جناحك طارت اليك الحمامة
يا ساعدي ..
أيها التيبس قبل الوصول اليها
انتقض ..
ان فولاذها ساخن كدمي ..
والمسافة تتسع الان بين الجليل وبيني
انصتي
انهم يذبحون صبيا على شرف الغزو
في ليلة العيد
ثم يعودون في صفحات الجرائد نصرا
ويبتسمون ..
انصتي ..
من يدق ..؟
ازحزح عنك التفاصيل
هل سقط الثلج ..؟
اوقدت صاريتي .. وخيامي ..
على الشط

لوح لي في المحابر
والدم .. كتف الجزيرة
اسندت كتفي ..

وراقصت بين اغانيك .. والموت .. حبي
فماذا تبقى
اردد لك الدين
هذا جبيني اسطعي حيث شئت
احبك لو قطوني ..

خذيني الى العيد
افقد قبل الوصول المواعيد
ـ ايتها البندقية فلينسني
جسدي ان نسيتك
يا نجمة الصبح
انت يقيني ..

"الصينيون في باريس"

فيلم امبريالي مشبوه غرضه تشويه تاريخ "الجيش الاحمر الصيني" والشعب الفرنسي معا

في باريس عرض فيلم « الصينيون في باريس » في سياق الخطة الخمسية الامبريالية لتشويه الحقيقة الثورية الناصعة في تاريخ اشعب الصيني العظيم ، ومواقفه الاممية القائمة على مبادىء الماركسية ـ اللينينية والتي قوامها الوقوف الى جانب قضايا الشعوب المضطهدة والمقهورة في نضالها من اجل حريتها ..

هذه الحقيقة التي لا يمكن لابة قوة في العالم النيل منها ، او طمس معالمها العظيمة .

يقول القائد العظيم لينين :

« الحقيقة الموضوعة محتوى من الصورات البشرية ، ليست رهنا بالذات ، لا بالانسان ، ولا بالانسانية » .

المقصود من هذه المقولة ، هو ان الحقيقة الموضوعية هي فوق كل اعتبار ذاتي ، وهي واقع قائم ، راسخ ، وملموس وحتى لو اجتمعت البشرية كلها لانكارها فانها ستبقى عنيدة موضوعيا .. فماذا يعني فيلم « الصينيون في باريس » ازاء حقيقة الشعب الصيني الموضوعية .. الفيلم من اخراج الفرنسي جان بان المعروف بانتمائه الرجعي الموالي للامبريالية ، ومن الطبيعي جدا ان يقدم على اخراج فيلم يخدم به الامبريالية ومن انتاجها هي نفسها . واكثر من طبيعي ، لكي ينجز مهمته بامانة للامبريالية ، ان يخترع قصة وهمية ويغيركها على غرار معطيات السياسة الاميركيه وحاجاتها ، بحيث جعل « الجيش الاحمر الصيني » في فيلمه غازيا لباريس !!

وهو هنا يذكرنا بالضبط بالاحلال النازي الفاشي الذي يسيء للشعب الصيني والشعب الفرنسي على حد سواء ..

الفاشي لفرنسا ، وهذا هو الغزو الحقيقي ، والغزاة الحقيقيون لفرنسا وليس الجيش الاحمر الصيني ..

وفوق ذلك كله يذهب المخرج بعيدا في السياسة الاميركية متعاديا بشوبه الحقائق في الفيلم ، حتى تلك التي تخص شؤون بلاده .. حيث يظهر الشعب الفرنسي كشعب مخمور ، منحط القيم ، لا تهمه سوى ملذاته وكؤوس الويسكي .. وليس لديه ادنى اهتمام بضرورات الحياة !!..

هكذا تشوه الحقائق في الافلام الامبريالية وبهذه الطريقة توظف الامبريالية الفن كسلاح الى جانب أسلحتها الاخرى في عدوانيتها ضد الشعوب المناضلة وتراثها الثوري ..

ولكن كما انكسرت أسلحتها « الخارقة !! » في فيتنام ، وكمبوديا ، وظفار واحدوديت هي ذاتها « الرهيبة !! » تنكسر اقلامها وثقافتها امام مواقف الشعوب العنيدة .. ومثالا على ذلك ، ان هذا الفيلم الذي عرضته خمسة صالات رئيسية في باريس لاقى معارضة شعبية شديدة ، اذ قامت جماهير غفيرة من الشعب الفرنسي بالهجوم على الصالات من الداخل ـ بالطماطم ، والبيض ، والحجارة . وقد وزعت مناشير على ابواب الصالات تهاجم الفيلم ، وتطالب الحكومة الفرنسية بمنع عرضه ، كما وقعت مئات عرائض الاحتجاج على هذا العرض .. اما المفكر جالا جيوركه رئيس تحرير صحيفة « الانسانية الحمراء » الباريسية فقد وجه رسالة الى الرئيس بومبيدو يطالبه بمنع عرض هذا الفيلم

● بعد « اكليل الشوق » المجموعة الاولى للشاعره الفلسطينيه « مي صايغ » صدرت حديثا مجموعتها الثانيه « قصائد حب لاسم مطارد » عن دار العوده .. الجدير بالذكر ان الشاعره كانت قد شاركت مع مجموعه من شعراء الثوره الفلسطينية بديوان « قصائد منقوشه على مسلة الاشرفيه » ..

● «موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية» كتاب جديد صدر عن دار الطليعة للرفيق منير شعيق وهو يشمل موضوعات كثيرة مستقاة من تجربة الثورة الفلسطينية في الاردن خلال عام ١٩٧٠ .. واهمية هذه الموضوعات تكمن بما تثيره عن تجارب المقاتلين عانتها الكاتب من كتب ومن قلب التجربة النضالية بعلمية وعمق الكاتب الثوري .

● في العدد الاخير من « الاديب المعاصر » المجلة الفصلية التي يصدرها اتحاد الادباء في العراق ، قصص وقصائد ودراسات نقدية مترجم عن لغات اخرى والمعض الاخر من نتاج ادباء وشعراء من العراق .

الملاحظ في هذا العدد انه شكل ارتدادا من حيث النوعية من الاعداد السابقة للمجلة خاصة في القصة والشعر .

● «المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف» للدكتورة سلوى شماس يتناول هذا الكتاب وضع المرأة العربية من اضطهادات في المجتمع العربي التقليدي .. وتنظر الكاتبة الى ان هذه الاضطهادات تلخص ازمة المجتمع العربي ، وتضع مشكلة المرأة العربية في قلب عملية الصراع الاجتماعي وهو الصراع الذي تشترك فيه المرأة مع الرجل لقلب الاوضاع الاجتماعية المتعفنة ، ابتداء بالمفاهيم المتخلفة وانتهاء بالعفات المتحكمة عن طريق الوراثة والتقليد .

● يطبع حاليا في بيروت ديوان « حديث الى اشجار تشبه رجالا كنت اعرفهم » للشاعر العراقي عمران القيسي وهو الديوان الثاني بعد « الصبت لا ينعب الموتى » الذي صدر في بغداد عام ١٩٦٦ .

● في ٢٥ آذار الحالي يفتتح على مسرح بيروت عرض مسرحية روبير عطاالله الجديدة « الشوط الاخير » بعد « الفوضى المنظمة ، لاجيء سياحي وفلسفة الخوتان » .

يقول كاتب المسرحية عن مسرحيته الجديدة هذه : انها تعالج القضية الفلسطينية بكل ابعادها ، كيف تكونت كفكرة في العقل الصهيوني ، وكيف شارك الاستعمار بتحقيقها ، وكيف صارت فلسطين قضية كل العرب .. متى بدأت ، وتطورت واين هي الآن ؟ المسرحية تفتح صفحات التاريخ دون الوقوع في التلقينية ، موصلة القضية بابعادها التاريخية والسياسية والانسانية .